والأدوية المفردة والمركبة التي يعالجون بها المرضى وألفوا فيها الكتب[1] والتي تتوافر فيها كل أنواع الأدوية، والأشربة، والمعاجين وعلى اختلاف أنواعها [2].كذلك تتوافر في صيدلية المستشفى الآلات، والأدوات التي أعدت لصناعة الدواء وكذلك الأواني لحفظه وهي من الآلات النفيسة والأواني الصينية من الزبادي والبراني وغيرها من الأواني التي لا يقدر على إيوائها غير الملوك[3]، ومثلما هناك رئيس لكل طبيب في كل قسم من أقسام المستشفى كذلك الصيدلية لها رئيس الذي يدعى بالمهتار[4].

المبحث الثاني
طبيعة الخدمات العلاجية في المستشفيات

وطبيعة الخدمات الطبية في المشافي كانت تتلخص بالأتي:

أ ـ فحص الحالات البسيطة وعلاجه.

وهو ما يشبه العيادة الخارجية وهذا النوع من العلاج يجلس فيه الطبيب على دكة ويكتب لمن يرد عليه من المرضى للعلاج أوراقاً تصرف من صيدلية البيمارستان بما يناسب المريض من العلاجات بالأدوية والأشربة [5].

ب- علاج الحالات الصعبة بإدخال المريض للمستشفى.

العلاج داخل المستشفى حيث يقسم المرض حسب أمراضهم في قاعات خاصة داخل المستشفى بكل ما يلزم المريض، وكان كل قسم يحوي عدد من الأطباء غالباً ما يتجاوزون من ثلاثة حسب اتساع القسم وعدد المرضى الموجودين[6]، ويتم فحصه بشكل دقيق لتشخيص حالته بطرق عدة.

يعمل الأطباء في البيمارستان بالتناوب فعلى سبيل المثال كان الطبيب جبريل بن يختشيوع نوبته في الأسبوع يومين وليلتين[7]، وكان النظر في بول المريض من أحد وسائل معرفة أعراض المرض بعد أن ينظر إلى قارورة بول المريض وتسمى نتيجة البول (التفسرة) ومن خلالها يتعرف حالة المريض من صحة أو مرض [8].

تبين لنا أن من أحد أساليب الفحص على المريض، ما يسمى في عصرنا بالتحليل أو قريباً منه، فمن خلال مشاهدة إدرار المريض يعرف الطبيب حالته المرضية، حيث كان الفحص الطبي للمريض وصل إلى أعلى درجات الرقي العلمي، فكان الطبيب يجس نبض المريض، ويلل إدراره بالقارورة، ويتتبع تأريخ المرض، ومعرفة أهم العلل التي تعرض عليها المريض

---

(1)الملا، أثر العلماء المسلمين، ص 142.
(2)الحلو، الوافي في تأريخ العلوم، ص 55.
(3)كحالة، العلوم العملية، ص 107؛ السرجاني، قصة العلوم الطبية، ص 119
(4)عيسى، تأريخ البيمارستانات، ص 21؛ عفيفي، التطور العلمي عند المسلمين، ص 189.
(5)عيسى، تأريخ البيمارستانات، ص 21.
(6)محمد، الطب عند العرب، ص 318.
(7)كحالة، العلوم العملية، ص 32.
(8)القفطي، تأريخ الحكماء، ص 32.

في حياته، ويتعرّف على مناخ بلدته ويتحسس لون وطبيعة جلد المريض ويلاحظ حدقة العين وحالة التنفس المريض، وكل هذه الإجراءات في التشخيص للتفريق بين الأعراض المتشابهة للأمراض[1].

وقد أكد هذا المنحى الطبيب الرازي في قوله:((وينبغي أن تدخل على مخدومك " المريض" كل يوم وتقعد بالقرب منه وتجسَ بنبضه))[2].

وحدث أن أراد الخليفة العباسي الرشيد، من أن يختبر كفائة الأطباء في بغداد، فأمر الخدم بجلب ماء دابة و وضعها في قارورة، وأرسله إلى الطبيب كي يراه، فلما رأهُ الطبيب، قال: ((يا أمير المؤمنين ليس هذا بول إنسان فقال له الخليفة من أين علمت أنه ليس بول إنسان؟ قال بخشيوع: لانه ليس له قوام بول الناس ولا لونة ولا ريحة))، ثم التفت الخليفة إلى بختشيوع فقال له ما ترى أن نطعم صاحب هذا الماء فقال، شعيراً جيداً، فضحك ضحكاً شديداً وأمر له بخلعة ثمينة ووهب له مالاً، وعينه رئيساً للأطباء. ومن خلال هذه الحادثة التاريخية مما تقدم يتوضح لنا أن فحص البول هو أحد وسائل معرفة المرض[3].

إذ أمر الرشيد الخدم بجلب ماء الدابة لتجربته فجاء الخادم بقارورة فيها بول الدابة فلما رآها الطبيب قال: على أن يكون في قارورة من زجاج وأن يصان عن تغير الشمس، والريح، وأن ينظر إليه في الضوء من غير أن يقع عليه الشعاع فحينئذ يحكم عليه من الأعراض التي ترى فيه. وأجتمع أطباء الطب القديم والحديث في رأيهم بخصوص زمان فحص البول وهو أن يأخذ البول بعد انتباه العليل من النوم وقبل أن يشرب الماء وبعد أن ينهضم غذائه، واخيراً أن يترك ساعة كاملة حتى يستغرق فيها الرسوب لان البول قد تكون فيه ثفل[4].

وهكذا كان الأطباء المسلمين يفحصون العليل بكل دقة وبجميع الوسائل المعروفة لديهم للتوصل إلى المرض ومن ثم إعطاء العلاج حيث كانوا يفحصون النبض لمعرفة حالة القلب، والبول (5)، لمعرفة حالة الكلى، وفحص البصاق لمعرفة أمراض الرئة [6]. هذا فضلاً عما يوجهه الطبيب من أسئلة للمريض عما يشكو منه وأعراض مرضه ووقت هيجانه[7]، كذلك إلى ما يلاحظه الطبيب في هيئة الاعضاء والسحنة والمزاج، وملمس البشرة، وهنا على الطبيب أن يتفقد سائر الدلائل في البدن كله، ففي المستشفيات عند الأطباء العرب إذ كانوا يتفقدون مرضاهم ولأهميته كان يقوم به رئيس الأطباء يرافقه الأطباء المتدربون، والممرضون، وهي مشاورة طبيب آخر لو كان من غير قسم من أقسام المستشفى للمشاركة في علاج الحالة المرضية أن لزم الأمر لذلك، أدى هذا إلى تشكيل نظام الاجتماعات العلمية لدراسة الحالات المرضية في المستشفى، وكان يجري بأن يجلس الطبيب الكبير مع معاونيه في صدر القاعة المتخصصة

---

(1)الملا، أثر العلماء المسلمين، ص 134.

(2)الرازي، محمد بن زكريا (320-250هـ/ 864-932م)، أخلاق الطبيب (رسالة لمحمد بن زكريا الرازي لأحد تلاميذه)، تحقيق عبداللطيف محمد العبد، مكتبة دار التراث، القاهرة 1977م، ص 39.

(3)علي، داود سلمان، التمريض في التراث العربي، ندوة مركز أحياء التراث العربي، جامعة بغداد، 1988م، ص 150.

(4)المجوسي، كامل الصناعة الطبية، ج1، ص 293.

(5)م. ن، ج1 ص 293-294.

(6)ابن سينا، القانون في الطب، ج1 ص 107.

(7)المجوسي، المصدر السابق، ج1 ص 240

ويلتف حوله الأطباء للبحث والمشاورة وقد تستمر لساعات طويلة إلى حين تشخيص الحالة وإيجاد العلاج اللازم [1].

ولما ورد فإن الأساليب العلمية في الفحص على المريض وبالدقة المتناهية كجس النبض وملاحضة القارورق (الإدرار) وملاحظة بصاق المريض وعلامة أخرى كلها يعرف بالملاحظة السيرية للمريض،كان من مأثر الأطباء المسلمين في المشافي الإسلامية يتوارثها طلاب الطب عن أساتذتهم بالملاحظة الدقيقة لرئيس الأطباء المشهود لهم بالحذقة والنبوغ، هكذا غدت المستشفيات ليس أماكن لعلاج المرضى بالمدارس لتخريج الأطباء وتدريبهم.

إلا أن أغلب الأطباء العرب والمسلمين أمثال الرازي وابن سينا وابن الجزار القيرواني كانوا يقومون بمعالجة الفقراء مجاناً [2]. وكذلك الطبيب القرطبي أبو القاسم الزهراوي فقد كان كثيراً ما يعالج مرضاه بدون مقابل[3].

ج. العمليات الجراحية.

وإذا إستوجبت حالة المريض لإجراء جراحة له، فتجرى الجراحة داخل المستشفى، وكانت الجراحة من اعظم ما توصل اليه اطباء الاندلس من بين اساليب العلاج حيث اتقنوا اساسياتها وقواعدها واصولها وبرعوا في ممارستها، وكان يطلق على الجراحة اسم (صناعة اليد) او (العمل بالحديد) في حين اطلق على الشخص الذي يمارسها اسم (جرائحي) أي الجراج [4]، ولم يمارس الأطباء الجراحة بأنفسهم لفترة من الزمن باعتبارها من الاعمال الممتهنة التي لا تليق بهم لذلك فقد اقتصرت على الحلاقين والحجامين فهم كانوا يقومون بالعمليات الجراحية البسيطة التي تتطلب الفصد [5] والكي [6].

والبتر [7] وغيرها من الوسائل العلاجية[8] ولكن عندما ادرك اطباء الاندلس اهمية الحجامة بالنسبة لعملهم الطبي لكونها تساعدهم في التعرف على اماكن العروق والشرايين وطبيعة عمل كل واحد منها وتجنباً للوقوع في الخطأ فقد مارسوها ضمن نطاق عملهم الطبي بل انهم اعتبروها جزءاً مكملاً له مستبعدين الفكرة السائدة بانها من الاعمال الرديئة،حيث نجد ان

---

(1)خير الله، الطب العربي، ص104؛ عبد الله، سامية عبد اللطيف، الدور الانساني للبيمارستان في الاسلام، مجلة التربية، العدد الثامن والثلاثون، 1988م، ص 124 .

(2)محمد، الطب عند العرب، ص 207.

(3)ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 551.

(4)الزهراوي، التصريف، ج2. ص190؛ معروف، المدخل في تاريخ الحضارة، ص150؛ مرحبا، المرجع في تأريخ العلوم، ص 290.

(5) الفصد: بقطع العروق، هو عملية شق البدن لأعماق متوسطة لاستخراج الدم الفاسد منه بعكس الحجامة التي تنقي سطح البدن وتستخرج الدم الفاسد منه .
ينظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج4 ص45؛الفراهيدي، ابي عبدالرحمن بن أحمد (ت 100هـ / 175م)، كتاب العين، مادة فصد، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1426هـ - 2005 م، ص 745.

(6) الكي: هو عملية استخدام أحد المعادن المحمية بالنار لعلاج المرض المستعصي وهو اخر دواء يلجأ اليه الطبيب بعد فشل كل العلاجات التي يقدمها للمريض .
ينظر: الزهراوي، التصريف، ج2، ص151 .

(7) البتر: هو عملية قطع الاجزاء المريضة من جسم الانسان بواسطة الة حادة .
ينظر: الزهراوي، المصدر السابق، ج2، ص163؛ الخطابي، الطب والاطباء، ج2، ص296

(8) علي، عبدالله، العلوم والفنون عند العرب ودورهم في الحضارة العالمية، الرياض، 1987، ص62

الطبيب ابن ملوكة النصراني الذي كان من اشهر اطباء عهد الامير عبد الله يعالج مرضاه ويفصد عروقهم في داره [1] في حين كان الخليفة عبد الرحمن الناصر كلما اراد الفصد جلس ببهو مجلسه الكبير المشرف على مدينة الزهراء واستدعى الطبيب الفاصد ليقوم بمهمة فصد عروقه واستخراج الدم الفاسد منها [2].

كما يجب على الطبيب ان يكون عارفاً بمزاجات الابدان لان ذلك يساعده في اجراء الجراحة المناسبة للاعضاء حسب فصول السنة [3]، وكان الاختبار الذي يجريه المحتسب للمتقدمين من الاطباء الجراحين يشمل اختباراً علمياً يتمثل بامتحان المتقدمين بمضمون كتاب جالينوس المسمى(قطاجانس) والذي يتناول دراسة انواع الجراحات والعلاجات الطبية، واختباراً عملياً حول كيفية تشريح اعضاء جسم وتحديد مواضع الاعضاء والشرايين والاعصاب وكيفية علاج كل عضو منها حسب المرض الذي يصيبه [4].

وكان اشهر من مارس الجراحة الطبية في بلاد الاندلس الطبيب خالد بن يزيد الروماني الذي عرف باتقانه لصناعة اليد في قرطبة في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط [5] بينما تميز الطبيب اسحاق النصراني بخبرته الجراحية في عهد الاميرعبد الله [6]، وكذلك برع الطبيب يحيى بن إسحاق بممارسته الطب الجراحي في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر [7]، في حين كان الطبيب ابو موسى الاشبوني من ابرز أطباء الأندلس علماً بالجراحة الطبية في عهد الخليفتين الناصر والمستنصر [8]، الا ان اشهر طبيب جراح عرفته بلاد الأندلس في (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) هو الطبيب الاندلسي ابو القاسم الزهراوي الذي جعل من الجراحة اساس العمل الطبي لانها تمكن الطبيب من التعرف على اماكن الأعضاء والأوعية الدموية والشرايين والأعصاب وتحدد منافعها [9]، حيث وضح ذلك في كتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف) الذي يعتبر اهم مرجع جراحي في تاريخ النهضة الاسلامية [10] واشار فيه الى كافة انواع الجراحات التي تعنى باعضاء جسم الإنسان ابتداءاً من جراحة العيون، وجراحة الرأس، وجراحة الاسنان، وجراحة عسر الولادة بالنسبة للنساء الحوامل، وجراحة الاطفال

---

(1) ابن سينا، القانون في الطب، ج4، ص 584؛ ابن جلجل القرطبي، طبقات الأطباء، ص97؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء، ص 486 .

(2) المقري، نفح الطيب، ج1، ص282.

(3) ابن قف، أمين الدولة أبي الفرج بن موفق بن يعقوب (ت 685هـ / 1286م) العمدة في الجراحة، ط1، الدكن، الهند، ب/ت، ج1، ص 163ص164 .

(4)الزهراوي، التصريف، ج2، ص 171؛ ابن الاخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص 169 .

(5)ابن جلجل، طبقات الحكماء، ص 207.

(6)ابن جلجل، المصدر السابق، ص ص96-97 ؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء، ص488 .

(7)ابن جلجل، المصدر السابق، ص100 ؛ ابن صاعد، طبقات الأمم، ص102، القفطي، أخبار العلماء، ص359؛ ابن ابي اصيبعة، المصدر السابق، ص488.

(8)ابن جلجل، طبقات الاطباء، ص112؛ ابن ابي اصيبعة، عيون الانياء، ص492 .

(9)شماني، تطور الفكر التشريحي عند العرب واثره على اوربا، مركز احياء التراث العلمي العربي، ندوة (فضل العرب في الطب على اوربا)، بغداد، 1989، ص13 .

(10)الطيبي، أحمد أمين، دراسات وبحوث في تأريخ المغرب و الأندلس، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1997م، ج2 ص 11.

وغيره [1]، كما انه اشار الى استـــعمال الخيوط المصنوعة من الحرير في خياطه الجروح الناتجة من العمليات الجراحية [2]، فضلاً عن وصفة للادوات المستعملة في الجراحة كوسائل إيضاح للأدوات الجراحية [3]،وقد تضمنت المقالة الثلاثون من كتابة الموسوعي الطبي الرائع (التصريف لمن عجز عن التأليف) والتي حوت على أنواع العلاجات الجراحية لكثير من الحالات التي تتطلب تدخلاً جراحياً وبدقة.

(1)الزهراوي، التصريف، ج1، ص 79-82؛ الطيبي، المرجع السابق، ج2 ص 28
(2)الزهراوي،، المصدر السابق، ج1 ص 79ص80.
(3)الزهراوي، التصريف، ج2، ص289ص ص290-292؛ الطيبي، المرجع السابق، ج2 ص 24